معهد فلسطين لأبحاث الأمن القومي

واشنطن تقترب بشكل خطير من الانجرار إلى حرب اقليمية في الشرق الاوسط

الدكتور عوض سليمية

باحث في العلاقات الدولية

قد تكون غزة هي مركز الحرب التي تشنها اسرائيل الان، لكن في مختلف أنحاء الشرق الأوسط بدأت مزيداً من الأضواء الحمراء تومض وتُحذر من إنفجار الاوضاع نحو مزيداً من المواجهات الاقليمية القادمة.

اولى هذه التحذيرات وردت من اليمن، فقد اعلنت البحرية الامريكية ان ما لا يقل عن أربعة صواريخ موجهة الى إسرائيل أطلقها الحوثيون من اليمن واتجهت شمالاً على طول البحر الاحمر، تم اعتراضها من قبل السفن الحربية المرابطة في المنطقة، تبعها إطلاق ما لا يقل عن 15 طائرة بدون طيار نحو اهداف امريكية متفرقة. بالتزامن، شن مسلحون هجوماً على قاعدتين امريكيتين في سوريا باسلحة خفيفة وقذائف محمولة على الكتف. وبالمثل هاجمت طائرات مُسيرة وصواريخ القوات الامريكية في قاعدة عين الاسد في العراق وقاعدة اخرى قريبة من محيط مطار بغداد، وسط مناوشات متصاعدة قادمة من جنوب لبنان، منشأها عناصر حزب الله ومسلحين فلسطينيين وتتدحرج نحو الانفجار الشديد.

مع بدء اعلان الحرب الاسرائيلية على فلسطين وفي القلب منها غزة، دفعت واشنطن باصولها العسكرية الى شرق البحر المتوسط، ونشرت مجموعتين من حاملات الطائرات تحت مبررات ردع أي كيانات او

منظمات مسلحة في سوريا او لبنان تفكر في فتح جبهات جديدة ضد إسرائيل. ونشرت ألفا جندي من مشاة البحرية الأمريكية على أهبة الاستعداد للانتشار في الحالات الطارئة. وبالمثل، صممت جسر جوي من واشنطن الى تل ابيب لتقديم كل ما يحتاجه جيش الاحتلال من معدات حربية لاستمرار ارتكاب المذابح، مضافاً اليها 14 مليار دولار تم رصدها لتمويل هذه الحرب، مع ضمان حشد غربي واسع ضم حلفائها التابعين لتبني الرواية الاسرائيلية الزائفه وتقديم الدعم اللازم لدولة الاحتلال.

الرئيس الأمريكي جو بايدن الذي نصَب نفسه وزيراً لدفاع إسرائيل وأمضى سبع ساعات فيها، التقى خلالها بجنرالات مجلس الحرب الاسرائيلي جدد دعمه الكامل لبنك أهدافهم من النساء والاطفال، وكرر ذلك في خطابه من البيت الابيض مساء اليوم التالي لزيارته لاسرائيل، متعهداً بتقديم مزيداً من المساعدات الإضافية لإسرائيل بقيمة مليارات الدولارات. ومؤكداً على ما اسماه حق اسرائيل في الدفاع عن نفسها. سبقه في ذلك وزير خارجيته انتوني بلينكن الذي دشن جولات مكوكية غير مسبوقة بين العواصم العربية واسرائيل، بينما وضع وزير دفاعه لويد اوستن وقائد القيادة المركزية للجيش الأمريكي الجنرال مايكل كوريلا أنفسهم على اتصال وثيق مع نظرائهم الاسرائيليين، للتاكيد على نفس الموقف المُعلن، في هذه الحرب: لا مجال للحياد وان الانحياز لحليفتهم اسرائيل واجب مقدس. دون الالتفات للرأي العام العالمي وتسونامي الجماهير الغاضبة التي تجتاح الشوارع في معظم مدن العالم بما فيها واشنطن نفسها مطالبةً بانهاء هذا العدوان.

هذه الحقائق تشير الى اندفاع الولايات المتحدة أكثر نحو الاحتمال الحقيقي– الذي لا تفضله، وهو التورط المباشر في حرب إقليمية في المنطقة. لانها ببساطه، ليست حملة واشنطن لحربها على القاعدة او داعش

انتقاماً لاحداث 11 سيبتمبر كما تحاول ان تُروج. حيث برعت في التخطيط والإعداد وتحديد الزمان والمكان وحجم الهجوم، وهي ليست حربها ضدر روسيا الاتحادية حيث نجحت في حشد حلفائها الغربيين لاسناد اوكرانيا. الآن، وفي أفضل امنياتها، تسعى واشنطن جاهدة لاقناع زعماء الدول العربية الذين يسيرون على حبل مشدود بين إرضاء جموع الملايين الغاضبين من شعوبهم في الشوارع والميادين ومحيط السفارات الغربية والاسرائيلية والتهديد باجتياح حدود فلسطين في حال لم يتخذ قادتهم مواقف ترقى لحجم شلال الدم الفلسطيني. وبين محاولات صد الهجمات من خارج حدود فلسطين بهدف احتواء تطورات اصبحت خارجة عن سيطرتها إلى حد كبير.

وسط هذه التضاريس الخطرة، فجأة أصبحت نقاط الضعف في الوجود العسكري الأمريكي المترامي الأطراف في جميع أنحاء العالم بما فيه الشرق الأوسط واضحة بشكل صارخ. تحتفظ واشنطن بقوات عسكرية في شمال شرق وجنوب شرق سوريا، وهي الدولة التي يتواجد فيها قوات من الجيش الروسي والتركي والحرس الثوري الايراني وقوات من حزب الله اللبناني وكتائب مسلحة تابعة لايران، ومجموعات مسلحة من الفصائل المعارضة للنظام السوري، وقوات مسلحة كردية، وما تبقى من مسلحي الدولة الإسلامية. بالاضافة الى الجيش العربي السوري. ومعظمهم ان لم يكن جميعهم يحملون مستوى عالي من العداء للجيش الامريكي المُحتل ورغبة في الانتقام. في الوقت نفسه، تصعد إسرائيل الموقف وتنفذ عمليات قصف على نطاق واسع لأهدافا في سوريا، كان آخرها مطاري حلب ودمشق، بحجة منع إيران من نقل الأسلحة والذخائر جواً لفصائلها المسلحة العاملة في سوريا. مع تكرار الاحتكاك بين القوات

الروسية والامريكية ذات المصالح المتناقضة في المنطقة، بدا ان الخطوط الحمراء آخذه بالتلاشي. علاوة على ذلك، تحتفظ واشنطن بوجود عسكري في العراق اهمها قاعدة عين الأسد الجوية في محافظة الأنبار غربي العراق، حيث يتواجد عدد لا يحصى من الميليشيات المدعومة من إيران والمسلحة جيدًا بعيداً عن سيطرة الحكومة العراقية.

في الوقت نفسه ينشط الاسطول الخامس الامريكي – يقع مقره في البحرين، ليضع حوالي 7 ملايين كيلومتر مربع – تمتد من البحر الأحمر إلى الخليج العربي، مرورا بالمحيط الهندي وبحر العرب، تحت عدسة المراقبة تحسباً لاي طارئ. فيما يتفاخر جيك سوليفان مستشار الامن القومي الامريكي باستنتاجاته الخاطئة بما اسماه نجاحات سياسات واشنطن في الشرق الأوسط، باعتبارها الأكثر هدوءًا مما كانت عليه منذ عقدين. مُتجاهلاً بذلك التحذيرات المتكررة التي أطلقها الرئيس محمود عباس من ان المنطقة على فوهة بركان وان الغليان تحت السطح مباشرةً، وكل يوم تقترب المنطقة أكثر وأكثر نحو الانفجار الدامي، بفعل سياسات الاحتلال والدعم الامريكي منقطع النظير لها.

في حين أن الحرب على غزة ستظل محور التركيز الاساسي لجيش الاحتلال، لا يمكن التنبؤ بالتطورات الزاحفة في باقي عموم اراضي دولة فلسطين، لبنان، سوريا، إيران، العراق، والجماعات المسلحة المنتشرة على ضفاف بحر العرب والخليج العربي. حيث أن هذه مناطق اصبحت قابلة للاشتعال في اية لحظة، مما سيدفع واشنطن للانخراط في هذه الحرب، التي لم تخطط لها مسبقاً على اقل تقدير.